

يمثلون 15% من سكان العالم: كورونا تضاعف معاناة ذوي الإعاقة وتسرق أحلامهم

في الوقت الذي يعاني منه ذوو الإعاقة والاحتياجات الخاصة من العجز في سد احتياجاتهم وشعورهم بالحاجة الماسة للآخرين في الأيام العادية لممارسة حياتهم الطبيعية، تأتي جائحة كورونا لتزيد من المعاناة وتضاعف من حجم مخاوفهم بعدم حصولهم على حاجاتهم ومطالبهم سواء للعيش بشكل منفرد، أو للتعايش بشكل طبيعي في محيطهم الاجتماعي.

منظمة هيومان رايتس ووتش الحقوقية الدولية ذكرت في تقرير لها إن هناك أكثر من مليار شخص تقريباً (يمثلون ما نسبته 15% من سكان العالم) يعيشون مع أحد أشكال الإعاقة، وتشير المنظمة إلى أن هؤلاء قد يشملون الأشخاص الأكبر سنًا، أو من لديهم حالات صحية مزمنة، أو ذوي الإعاقة التي تؤثر على قدرتهم التنفسية، وكلهم وفقاً لها معرضون بشكل خاص للإصابة الخطيرة بـ "كوفيد 19" أو الموت جراءه.

وبجانب هؤلاء هناك مجموعة أخرى من المعاقين (وفقاً للمنظمة) ممن لا تعرضهم الإعاقة في حد ذاتها لخطر الإصابة، لكنهم يواجهون خطراً آخر يتمثل في التمييز والعوائق التي تحول دون حصولهم على المعلومات، والخدمات الاجتماعية، والرعاية الصحية، والإدماج الاجتماعي، والتعليم.

ورغم العناية والمتابعة المستمرة التي تبذلها مراكز العناية بذوي الإعاقة، المختصة برعاية شؤون هذه الشريحة، وإمدادهم بالبرامج التأهيلية، إلا أن هذا لم يمنع الوجد والقلق والمخاوف من أن تحيط بأهالي المعاقين.. سؤالهم الدائم: متى ننتهي من كل هذا البلاء؟

التعليم عن بعد عقيم

تضاعف العنف والعصبية غير المعتادة من أصعب الأوقات التي مرت بها طفلة "أم محمد" فهي "تعاني من التوحد والإعاقة الذهنية، وزاد الطين بلة المكوث في المنزل وحرمانها من الذهاب للمدرسة والمركز فهي شديدة التعلق به"، هكذا وصفت "أم محمد" مشكلة ابنتها.

العصبية المفرطة التي تعيشها ابنتها، وفي ظل ظروف حظر التجول، إضافة إلى طبيعة شهر رمضان، كل ذلك حال بينها وبين التفاعل مع برنامج التعليم عن بعد.. ما بيّنته "أم محمد" التي تعتقد أن البرنامج قد يحقق نجاحاً مع غيرها، لكن بكل تأكيد ليس معها فهي حاولت أن تضغط على نفسها لكنها لم تستطع، لأنها تتحمل أعباء ومسؤوليات كثيرة، رغم مشاركة بعض من حولها.

المركز مختلف

أما أم حسن ح. والدة الطفل ذي الإعاقة السمعية فلم تنفرِ حجم الجهود التي يبذلها "مركز الشرق الأوسط للرعاية النهارية" سواء في أيام الحجر أو قبله، فهو يمد الأم بأفكار قد لا تخطر على ذهنها، على حد تعبيرها، كما لاحظت تأثيرات البرامج بشكل ممتاز على ابنها حيث انعكست على استجابته للتعلم عند بعد، لكنها تؤكد في الوقت نفسه على أن التعلم الجماعي بوجود أصدقائه ومعلمته الحنونة مٌختلف عن التعلم في البيت، حتى لو بذلت الأم كل أسباب التعلم، فطفلها يشعر بالحنين للمركز ويسأل عن معلمته بشكلٍ دائم.

الجماعي أكثر تأثيراً

من جهتها تذهب أم حسن ح. إلى إن الضعف الدراسي والتراجع في المستوى التحصيلي والنشاط تمثل بالنسبة لها معاناة أخرى، حيث تحدثت عن ابنها الذي يعاني من طيف التوحد بعد إغلاق المركز أثناء الجائحة، رغم أن معلمته لم تتوان في التواصل مع الأمهات بشكل دائم وذلك عبر إرسال الأنشطة المتنوعة والأفكار المميزة لتنفيذها مع الأبناء، وكذلك بإرسال المهارات الفردية لكل طفل والتي يجب أن يتقنها حتى يتم إرسال مهارات أخرى طيلة فترة الحجر. تقول أم حسن أن التعلم عن بعد لم يعط النتيجة المرجوة بالرغم من متابعتها الدائمة لطفلها.. فحالة الأطفال (وفقاً لما تقول) تتطلب علاجات تخاطب وعلاجات وظيفية من أخصائيين، مؤكدة على أن التعلم داخل الفصل يبقى له تأثير أكبر في تطور الأطفال.

لغة الإشارة الحلم

وعلى جانب من المعاناة الممزوجة بالتحدي؛ لا تريد زهراء سوى شراء الألوان لممارسة فن الرسم .. الفنانة التشكيلية زهراء المهنا التي لازمت الكرسي المتحرك في عمر الخامسة والثلاثين، مع معاناة ضعف السمع، تحدثت عن معاناتها خلال أزمة كورونا حيث بددت الظروف طموحها وحالت بينها وبين ارتيادها المتجر لشراء مستلزمات التلوين.

لكن زهراء التي هزمت إعاقته لم تتوقف عند هذا العائق فشغلت نفسها في تحقيق أمنيتها بإتقان لغة الإشارة التي طالما حلمت بتعلمها، ومازالت تتلقى الدروس من معلمتها.. تقول زهراء: "لو لم أتعلم في الوضع الراهن لكنت فريسة المملل والصحري.. لقد اعتدت المكوث في المنزل بين الريشة والألوان واللوحات الفنية أودع فيها أسراري، ولكنني لم اعد قادرة على الخروج لشراء المستلزمات.. الشعور بالضييق مؤلم وأنا أتألم أكثر من أجل أمي التي اعتادت على الزائرات لها كل مساء فهي تفتقدهم بقوة"

في جانب المراكز التأهيلية، وعلى مدى خمس ساعات تؤدي المعلمة ليلي الصالح دورها من خلال مركز تأهيل لذوي الإعاقة الذي يضم فئة صعوبات التعلم العقلية والحركية ومتلازمتا داون والتوحد. وتؤكد وجود فارق كبير بين ما قبل الأزمة وخلالها، فالتعليم قبل الأزمة أسهل بكثير من الوقت الحاضر الذي يحول دون مجيء الأطفال للمركز، فوجودهم في منازلهم يتطلب متابعتهم عبر تطبيقات التواصل الاجتماعي مثل واتساب، وهو لا يغني عن التعليم المباشر الذي يقوم على التشخيص والتقويم والمتابعة المباشرة ورصدها في الملف الخاص بالطفل بخطة مدروسة، كما تقول، وتضيف: "كل هذا بات صعباً أيام الأزمة حيث فقدان التواصل المباشر"

وترى ليلي أن "أزمة كورونا كشفت الأمهات الحريصات على المتابعة والاهتمام. هذا النوع من الأمهات تساهم بشكل جاد في تطوير أبنائها، بينما فضحت في المقابل الأمهات المهملات وغير المكتثرات في العناية بالطفل، رغم إمدادهم بالرسائل والخطط الدورية، ولكنهن للأسف الشديد لا يتواصلن معنا".

وتبين ليلي الصالح: "أن الأزمة أوقعت الأمهات في حيرة كبيرة، فمصير أبنائهم مجهول.. أعني فيما يخص الانتقال لمدارس الدمج أو الاستمرار في المركز، فتشخيص الأم يختلف عن تشخيص المختص". وتتساءل: "هل المهارات التي تعلمها الطفل من الأم يؤهله للانتقال لمراحل متقدمة؟.. أعتقد أن الأم الواعية هي المتابعة لحالة طفلها والمتابعة للنصائح بحيث تحصل على نتائج مبهرة وتطور ملحوظ، لكننا نواجه إهمال من بعض الأهل الذين لا يبالون بوضع ابنهم في المركز دون تواصل ومتابعة".

من جهته يؤكد الدكتور منصور الجبران بأن "التأهيل الأهلي حريص على استمرار البرامج ومتابعة التعليم ومد ما يفوق ١٩٠ مركزاً في جميع أنحاء المملكة بالتعليمات والتوجيهات، وبإقامة المحاضرات عن بعد لمساعدة الأهالي على تطبيق بعض الأساليب في سبيل اكتمال التعليم وإنجاز ما تبقى من الحقائق المعدة.. كما حرصت على عدم إيقاف البرنامج ورصد التقارير الدورية للتأكد من تنفيذها".